الحُسبة

لحضرة الاب انستاس ماري دي سنت ايلي الكرملي البغداديّ

الحُسبَةُ بضمّ الاوّل واسكان الثاني وفتح الثالث ابيضاض الجلد من داء تفسد به شَعَرَتُهُ وتصير بيضاء. هذا هو تعريف الحُسبة على ما نصَّ بهِ المحدثون وهو داء يصيب بعض الناس فيجعل الجلد ابيض كاملاً تفسد به الشعرة ويتلوّن البؤبؤ بلون احمر مشبع والقُرحيَّةُ بالشُّكلة. فتُصبح العين عاجزةً عن تحمُّل ضوء النهار لتخلُّل النور إيّاها وعليهِ فالحُسب (جمع أحسَبَ وهو من الحُسبة) يرَوْن في العَشوة احسن منهم في رائعة النهار. وهذا الشوَهُ يكون غالبًا ولادةً وهو ينجم عن نقصان او عن خلوٍ تام للمادّة الملوّنة في الجلد والشعر المسمّاة بالخضاب الجلديّ (Pigmentum). وتنزل هذه الآفة في كل صقعٍ وناحٍ ونجدٍ ووادٍ وليست مخصوصة بجيل من اجيال الناس كما زعمت جماعة. فالحسب هم في افريقية بين السود كما في اوربّة بين البيض وهي في اسية كما في اميركة واوقيانية. وهذا الامر ليس بمنكرٍ اليوم فان من السود من تسمّوا بالسود البيض وفي بلدتنا الزوراء اثنان من الحُسب يسميهم العامة عندنا بِرْبِشًا للواحد منهما. وهي على ما اخال تصحيف الابرش لما يرى في المُصاب بهذا الداء من شبه البرش او البرص.

اما الحُسبُ الذكور فانهم بوجه العموم عديمو القوّة التوليديّة بخلاف النساء. والحسبة تكون جزئيّة وعامّة. فاذا جاءت جزئيّة ربّما جاء الشعر يضرب الى الشقرة وربما اصابت عضوًا وتركت جارحةً فاصبح الآدميّ كالأبرص. والحسبة كثيرة الوقوع في التجّارات فانك تشاهد ذلك في الكبار منها كما في الصغار فترى من بين ذوات الاثدي في الفيل الهِ بعض الهند والوثنيين كما في الدُّرَّص البيضاء وكذلك ترى في كل ما يجيء بينهما من بعيرٍ وبقرةٍ وظبيٍ وارنب وخَرُّوص هندي وخُلْد الخ. وقد تحقق وجودها بين الطيور ايضًا فتُرى في الغراب والعقعق والشُّحرور والنُّقَر والبط الوحشي والعصفور الخ. وزد على ذلك انهُ قد تحقق وجودها ايضًا في المارماهيج والسرطان وتسمّى هذه العلّة بالفرنسويّة (Albinisme) والاحسب (Albinos). وهي ضدّ الشَّيم وبالفرنسية (Mélanisme) وهي في العربية مصدر شامَ فلانٌ اي ظهرت بجلدهِ الرقّة السوداء على ما قالهُ جمهور اللغويين. الّا ان

معنى الحرف الفرنسي اعمّ من العربي غير انهُ لمّا كانت الشامة من قبيل (الميلانسم) جاز تسميتها بالعربية شيئاً من باب تسمية الكل باسم الجزء. وهو قياسي وامثالهُ كثيرة في العربية. وهو في الاصطلاح: تلوّن غير عادي للجلد يمتاز في الخارج بلون اسود او قاتم في الجلد والشعرة والقزحيّة وهو يعرض اثر افراط الخضاب الجلدي وقد تظهر هذه الآفة في بعض الحيوانات كالاسد والثعلب والقُنفُذ. واغلب ظهورها في الانسان يكون شامةً ويتغيّر لونها من الطُلسة الى الحُلكة

وربَّما وُجدت الحسبة في النبات ايضاً لتشابه الاعراض وهو يكون بخلوّ الخضوب منهُ (وهي المادّة الملوّنة في النبات وبالفرنسية chlorophylle) وحينئذٍ تسمّى هذه الآفة بالخَضَد عند النباتيين وبالفرنسيّة (Albinisme végétal)

ولا يظنَّنَّ قوم ان الحُسبة هي كلمة حديثة الوضع عند العرب بل انها معروفة عندهم ومذكورة في كتبهم بهذا المعنى. وقد قالوا بوجودها عند الانسان والحيوان والطير وقد عرفوا انها تعمّ الجسد او تخصُّهُ. واليك بيان ذلك

قال الدميري في كتابهِ حياة الحيوان الكبرى في عرض كلامهِ عن البُوَّه (ويُقال بُوه وبُوهَة) ما نصُّهُ: « قال امرؤ القيس:

« ايا هند لا تقربي بُوهةً عليهِ عقيقتهُ أحسبا »

« الاحسب من الناس الذي في شعرهِ شقرة (وهذا اشارة الى ان الحسبة لا تعمّ الجسد الّا الشعر) وصفهُ باللؤم والشحّ. يقول كأنَّهُ لم تحلق عقيقتهُ في صغرهِ حتَّى شاخ وقيل انهُ الرجل الضعيف الطائش (وهنا فسّر الاحسب بخاصيتهِ اي انهُ ضعيف طائش وهو صحيح كما هو معهود في الحُسب) والبوهة ما اطارتهُ الريح . . . . . وقيل الاحسب الذي ابيضّ جلدهُ من داء فقدت شعرتهُ فصار احمر وابيض (وهنا بيّن انَّ الحسبة تكون عامّةً في الجلد والشعر). ويكون ذلك في الناس والابل (وهذا يُفصح عن ان الحسبة تكون في الناس والحيوان). وقيل الاحسب الابرص (وهذا يُشير الى ان الحسبة ربما اصابت مكاناً من الجسد ولم تصب مكاناً آخر فيصبح صاحبهُ كالابرص. ثمَّ لما قال امرؤ القيس لهند: « لا تقربي بوهة . . . احسبا ». اراد بذلك ان لا تقرب رجلاً ضعيفاً طائشاً كالبوهة الحسباء.

نترى من كل ذلك بانَّ العلة هي واحدة وانما فسّرت بانواع متلوّنة. وبهذا الخصوص

اقول انَّ مثل ذلك في كلام الناطقين بالضاد كثيرٌ . اي انهم يعرّفون الشيء تارةً بوصفهِ الخارجيّ واخرى بوصفهِ الداخلي وطوراً بوصفهِ الادبي وآونةً بخواصهِ ومرةً بظواهرهِ واحياناً باعراضهِ ومن لا ينتبه الى هذه الاوجه في الانتقاد يقع في الارتباك والاشتباك . اذ ان من هذه المعرّفات ما هي عامّة في الجنس وليست بمميّزة للفرد كما قد ورد في علم المنطق . والسلام على من اتبع الهدى

موافقة بين آيتين متناقضتين في الانجيل

للاب الفونس فان دن هوفن اليسوعي

لقد ورد في الكتاب المقدّس بعض فقرات مُشكلة وآيات مُبهَمة اعتاص شرحها على المفسّرين حتّى اضحت لهم كعراقيل يُلقون في حلّها عَرَق القِرْبة . لانّهم يعلمون من جهةٍ حقّ العلم انّ الكتاب مُنزَّل في كلّ اقسامهِ كما قرّر ذلك المجمع التريدنتيني (١ (الجلسة الرابعة) . ومن جهة اخرى تحول دونهم بعض اقوال الاسفار الالهية فيها شبهُ تناقض كأنّ الروح القدس صاحب الوحي يقرّر في مكانٍ ما ينكرهُ في آخر . فلا يبقى لهم اذ ذاك ليتملّصوا من هذه المشاكل سوى ان ينعموا النظر في نصّ الكتاب ويسبروه بميار التروّي والحكمة ثم يحاولوا وجود طريقةٍ توافق بين الآيات الشتّى فيُصرّح الحقُّ عن محضهِ

وربّما سعى المفسّرون في بيان بعض المشاكل العويصة فوجدوا في فكّها عدّة وسائل فلا بأس اذ اذاك إن آثر العقلُ منها ما رآهُ اقوى بُرهاناً ونبذ ما لم يرضَ بهِ . هذا وللاقدمين كتابات واسعة في شرح هذه المناقضات الظاهرة نخصُّ منهم بالذكر القديس الجليل اوغسطينوس ولهُ تأليف دعاهُ الموافقة بين الانجيليين

وكان هذا الملفان الخطير يُعدّ من اعظم المشاكل آيةً وردت في اناجيل البشراء الثلاثة متّى ولوقا ومرقس وهي قولهُ تعالى لتلاميذهِ

---

١) لكنّنا نسلّم انّ النسّاخ شوّهوا بعض آيات نسخوها بتقلّبهم ولذلك قد ورد لها روايات مختلفة لا نقطع بصحّة بعضها الا اذا شهدت لها الكتبة او النُسَخ الاصليّة . على انّ هذا التحريف الطارئ على بعض الآيات لا يمسّ صحّة الاسفار الالهيّة المقرّرة في المجمع التريدنتينيّ ولا يبخس في تقريظها لان الله عزّ وجلّ انما ضمن حفظ صحّة الآيات المتعلّقة بالايمان والآداب ليس الّا